Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمار من التراث الشعبي

Bibliotheca Alexandrina
0111244

منحوتة من الرخام ،مثل مشهد اسطوري له علاقة
بناء الخشب « تموز » (نهاية الالف الثالث ق.م)

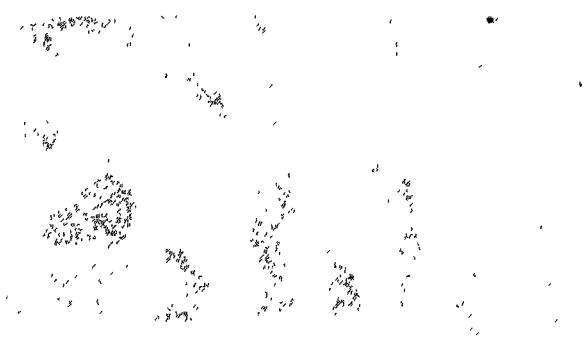

منحوتة من الرخام ،مثل ملحمة كلكامش بداية
الالف الثالث ق.م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة في أدب العراق القديم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طبع على نفقة كلية الآداب ـ جامعة بغداد
بغداد ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

في أدب العراق القديم

طه باقر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الطبع محفوظة

دار الحرية للطباعة ـ مطبعة رقم (١)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُقَدِّمَة

النتاج الادبي في حضارة وادي الرافدين ، شأنهـا في ذلك شـأن الحضارات الاخرى ، يأتي في مقدمة المصادر الاساسية عند الباحثين لمعرفة هذه الحضارة والوقوف على مقوماتها وخصائصها ، ذلك لانه أحسن ما يصور لنا اتجاهاتها الفكرية وعقائدها وآراءها في الكون والحيـاة ، فأن النصوص الادبية الى جانب المدونات الاخرى كالشرائع والنصوص القانونية المدونة والسجلات والاخبار التاريخية الاخرى ، وضعت في متناول أيدي الباحثين المادة الاولى في درسهم لهذه الحضارة والوقوف على عوامل نموها وتطورها وانحلالها على ضوء الاسس والاتجاهات العقلية والفكرية التي قامت فوقها . والواقع من الامر ما كان يتسنى تحقيق هذه الدراسات الكثيرة في الحقول المختلفة من حضارة وادي الرافدين لولا ما وضع في متناول أيديهم من النصوص المسمارية المتنوعة التي كان الكشف عنها ودرسها وتحليلها منذ منتصف القرن الماضي أروع مـا أسهمت بـه الحضارة الحديثة في اثراء المعارف البشرية والتاريخ البشري العام .

هذا وانني لعلى ثقة من ان القارىء للبحث المتواضع الذي اضعه في متناول يده سيدرك الاسهام العظيم الذي يعزوه الباحثون ومؤرخو الحضارة الى حضارة وادي الرافدين في سـير تقدم الفكر البشري بوجه خاص

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحضارات العالمية بوجه عام • واذا كانت النصوص المدونة المختلفة التي وصلت الينا من هذه الحضارة الى حال التاريخ قد تناولها الباحثون الغربيون ترجمة وتحليلا وبحثا فيجدر بالباحثين العراقيين ان يؤدوا بعض الواجب الملقى على عاتقهم في تعريف القراء والطلاب بتراث هذا البلد عن طريق ترجمة نصوصه الادبية الى العربية ، وهذا ما يفكر به الآن بعض أساتذة قسم الآثار في كلية الآداب وأنا من بينهم ، على انني رأيت ان امهد لهذا المشروع الضخم ، الذي يتطلب انجازه وتحقيقه عدة سنين ، بمقدمة تمهيدية في التعريف بأدب العراق القديم ، في وصف اشهر النصوص الادبية التي وصلت الينا وشرح محتوياتها وايراد ترجمات موجزة لبعضها ، لتكون مرجعا أساسيا لطلاب قسم الآثار بوجه خاص وطلاب التأريخ والدارسين لحضارة وادي الرافدين بوجه عام •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

مقدمة في الخصائص والمميزات العامة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَدخَل البحث

١ ـ الماحة بأدوار حضارة وادي الرافدين :

١ ـ يتطلب عرض موضوع أدب العراق القديم تكرر الاشارات الى الادوار التأريخية التي مرت بها حضارة وادي الرافدين ، وتسهيلا لاستعادة القارىء الى ذاكرته هذه الادوار وأزمانها التأريخية يحسن لو نحن عددنا الادوار الرئيسية منها مقترنة بلمحة أو المامة تأريخية موجزة عن كل منها • ونبدأ من ذلك بتعريف موجز لما يقصد بحضارة وادي الرافدين ومكانة هذه الحضارة في تأريخ الحضارات العالمية القديمة ، فنقول ان المقصود من حضارة وادي الرافدين حضارة العراق القديم التي ازدهرت في السهول الرسوبية منه (بلاد سومر واكد) منذ مطلع الالف الثالث ق•م ، ولكنها تمتد بأصولها وجذورها الى عصور ما قبل التأريخ في العراق نفسه ، ومرت في تطورها بأدوار حضارية كثيرة الى أواخر العهد الما قبل الميلادي ، وسنعدد هذه الادوار بعد قليل • ويشمل مصطلح حضارة وادي الرافدين في كثير من المقومات الحضارية ، بالاضافة الى الحدود الجغرافية الحالية للعراق ، عدة أقطار مجاورة امتدت اليها تأثيرات هذه الحضارة فأقتبست منها عناصر حضارية أساسية ، مثل بلاد عيلام (الاجزاء الجنوبية من ايران مما يعرف الآن بالاهواز أو الاحواز) وشمالي ما بين النهرين وبلاد الشام والاناضول (موطن الحثيين) ، بحيث يمكن اعتبار الثقافات أو الحضارات التي قامت في مثل هذه الاقاليم امتدادا لحضارة وادي الرافدين •

وحضارة وادي الرافدين احدى الحضارات القديمة التي يطلق عليها مصطلح الحضارة الاصيلة أو الاصلية (Original) أو (Unrelated Civilization)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحسب تعبير المؤرخ الشهير « توينبي » ، وهي الحضارات التي لم تشتق من حضارة سابقة لها بل انها نشأت وتطورت من ثقافات عصور ما قبل التاريخ • والحضارات الاصلية قليلة العدد في تأريخ الانسان ، وفي مقدمتها حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل وحضارة الشرق الاقصى (الحضارة الصينية) وحضارة المايا والازتيك في امريكا الوسطى وحضارة وادي نهر السند (Indus Valley) التي لها صلة بحضارة وادي الرافدين ، كما انه يستبعد ان يتكرر نشوء مثل هذه الحضارات بناء على التعريف الذي اوردناه لها أي نشوئها من الادوار البدائية في عصور ما قبل التأريخ ، أما الحضارات البشرية الاخرى، التأريخيةمنها والمعاصرة، فيطلق عليها مصطلح الحضارات المشتقة •

٢ ـ الكشف عن حضارة وادي الرافدين :

لعل أروع ما اسهمت به الحضارة الحديثة في تقدم المعرفة الكشوف المثيرة التي حققها علم الآثار (اركيولوجيا Archaeology) في اكتشافه حضارات ومدنيات قديمة سبقت حضارتي اليونان والرومان بعشرات القرون ، وان الكثير من هذه الحضارات القديمة لم يكن يعرف عنها شيء حتى مجرد أسمائها • وبدأت التنقيبات والتحريات الاثرية عن بقايا هذه الحضارات القديمة ولاسيما حضارات الشرق الادنى وفي مقدمتها حضارة وادي النيل ووادي الرافدين منذ منتصف القرن التاسع عشر الماضي • وسرعان ما أسفرت جهود الباحثين الاثريين عن الكشف عن هذه الحضارات ، فامتدت آفاق جديدة في نظرة الانسان الحديث الى الحياة وتطورها ، وأصول تطور البشرية الحضاري والمراحل المختلفة التي مرت بها في تفاعلها وصراعها مع البيئة الطبيعية وتدرج هذا الصراع الى بداية السيطرة عليها وتسخيرها والافادة منها ، مما ظهرت ملامحه الاولى منذ ظهور اولى الحضارات البشرية في وادي الرافدين ووادي النيل في مطلع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الالف الثالث ق٠م٠ وقد وضع الكشف عن مثل هذه الحضارات القديمة دراسة التأريخ وتطور الانسان الاجتماعي والتكنولوجي على اسس علمية جـــديدة مكنت الباحثين من الكشف عن الكثير من نواميس العمـــران والاجتماع وفلسفة التأريخ ٠

وقد نتج الكشف عن مخلفات حضارة وادي الرافدين المادية وحل رمـوز الخط المسماري منذ منتصف القـرن الماضي معرفة أدوار هـــذه الحضارة ومنجزاتها المادية والفكرية ومنهـــا نتاجها الادبي الذي نحاول التعريف به في هذا البحث التمهيدي ، والعلوم والمعارف التي وصلت اليها مما ادهش ابناء الحضارة الحديثـــة وجعل الباحثين عن أصول العلوم والمعارف والفنون والآداب يؤكدون ان الاسس الاولى لها قد وضعت في حضارة وادي الرافدين ، وسيتضح ذلك مما سنعرضه من نتاجها الادبي ٠ ويجدر ان ننوه في هذا الصدد بالاتجاه الحديث بين الباحثين في المعاهـــد والمؤسسات العلمية الغربية في الاستعانة بمصادر حضارة وادي الرافدين المادية ونصوصها المـــدونة في درس اسس الاجتماع والنظم الاجتماعيـــة والقانونية والاقتصادية وتطورها ٠

٣ ـ ادوار حضارة وادي الرافدين :

أ ـ عصور ما قبل التاريخ :

ونبدأ في تعداد الادوار الحضارية الرئيسة باقدمها وهي التي يطلق عليها مصطلح عصور ما قبل التأريخ (Pre-history) ، وهي العهـود المتطاولة في القدم حيث لم يصل الانسان الى طور الحضارة ٠ وكان اقدم ظهور لنظام الكتابة في تأريخ الانسان في حضارة وادي الرافدين في حدود ٣٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق٠م ويحدد لنا التأريخ الثاني أي مطلع الألف الثـالث بداية العصور التاريخية في العراق وفي مصر ٠ اما بداية عصور ما قبـل التأريخ فلايمكن تحديدها بالسنين على وجه التأكيد لانها بدأت منذ ظهور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانواع البشرية القديمة البائدة قبل نحو مليوني عام أو يزيد • وبذلك تكون عصور ما قبل التأريخ قد استغرقت القسم الاعظم من حياة الانسان يتعدى نسبة الـ ٩٩ بالمائة • ويطلق على اقدم هذه العصور مصطلح العصور الحجـــرية (Stone Ages) التي تنقسم بدورها الى العصر الحجري القـــديم (Palaeolithic) والعصر الحجري الحديث (Neolithic) ويوجد طور حجري ظهر في بعض الاقطار ، ومنها الشرق الادنى ، يفصل ما بين هذين العصرين يسمى العصر الحجري الوسيط (Mesolithic) وقد استغرق العصر الحجري القديم وحده من حياة الانسان زهاء ٩٨٪ ويرتقى في تأريخه الى أزمان العصور الجليدية والفترات الجليدية في العصر الجيولوجي الاخير المسمى « بلايستوسين » (Pleistocene) ، وعاشـــت في الشطر الاول منه أجناس وأنواع عتيقة من الانسان واشباه الانسان ، ولم تظهر اجـــداد نوع الانسان الحديث المسمى « الانسان العـــاقل » (Homo Sapiens) الا في النصف الثاني من العصر الحجري القديم • وقد عثر على نماذج من الادوات الحجرية القديمة في جملة مواقع وكهوف في شمالي العراق مثل برده بلكا (قرب جمجمال) وكهفي زرزي وهزار مرد (في منطقة السليمانية) وكهف « شانيدر » (في أعالي الزاب الاعلى) حيث وجد فيه (١٩٥١ ــ ١٩٦٠) بقايا العصر الحجري القديم من الدور المسمى « مستيرى » (Mousterian) (في حدود ٦٠٠٠٠٠ ــ ٧٠٠٠٠ ق•م) ، كما وجدت عدة هياكل عظمية لنوع الانسان القديم الذي سمي بانســان « نياندرتال » (Neanderthal) نســبة الى وادي نياندرتال في المانية) • واعقب العصر الحجري القديم العصر الحجري الوسيط الذي ذكرناه وهو بمثابة دور انتقال الى العصر الحجري الحديث التالي • وحدث في هذا العصر (أي الحجري الحديث) اعظم انقلاب في حياة الانسان اذ اهتدى فيه الانسان في منطقة ما في الشرق الادنى (وبضمن ذلك سفوح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجبال في شمالي العراق) الى انتاج القوت بالزراعة وتدجين الحيوان • وكان في العصور الحجرية السابقة يعيش حياة همجية يعتمد فيها على جمع القوت بالصيد والجمع والالتقاط • ووجدت في شمالي العراق جملة قرى فلاحية تعود الى هذا العصر المهم مثل « جرمو » (منطقة جمجمال) •

وتلا العصر الحجري الحديث دور حضاري مهم مهد للانتقال الى طور الحضارة من بعد انقلاب العصر الحجري الحديث ، اطلق عليه مصطلح العصر « الحجري ـ المعدني » (Chalcolithic) (في حدود ٥٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق•م) وقد اشتق اسم هذا العصر من حقيقة ان سكان وادي الرافدين ظلوا يعتمدون على الحجارة في صنع أدواتهم وآلاتهم ، ثم تعلموا منذ منتصف هذا العصر استعمال المعادن وفن التعدين ، منذ نحو ٤٠٠٠ ق•م • وقد تحققت في هذا العصر جملة منجزات ومخترعات كانت طلائع لظهور الحضارة الناضجة في مطلع الألف الثالث ق•م ، أهمها : اتساع القرى الفلاحية التي ظهرت في العصر الحجري الحديث وازدياد الانتاج الزراعي وظهور طلائع التخصص والمدن وبداية استيطان السهول الرسوبية التي تعتمد في زراعتها على الري من الانهار ، فنشأ جهاز الري وانظمة الحكم على هيئة دويلات مدن • وظهرت الابنية العامة وفي مقدمتها المعابد • وقد قسم هذا العصر الى عدة أدوار حضارية تميز كل منها بأنواع الاواني الفخارية الملونة الجميلة وبالآثار المادية الاخرى ، وسميت هذه الادوار بأسماء المواضع التي وجدت فيها لاول مرة الآثار الممثلة لكل منها ، واقدمها الدور المسمى « حسونة » (نسبة الى تل حسونة بالقرب من قرية الشورة في منطقة الموصل) ، ثم دور « سامراء » ودور حلف ودور العبيد الذي بدأ فيه استيطان السهول الرسوبية في وسط العراق وجنوبه •

وهناك عصر حضاري يقع ما بين نهاية العصر « الحجري ـ المعدني » السالف الذكر وبداية الحضارة الناضجة في مطلع الالف الثالث ق•م اطلق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه مصطلح العصر الشبيه بالتأريخي (Proto-historic) أو الشبيه بالكتابي (Proto-Literate) (في حدود ٣٥٠٠ – ٢٨٠٠ ق٠م) ، وقد سمي كذلك لانه على الرغم من ظهور الكتابة في أوائله (في النصف الثاني من دور الوركاء في حدود ٣٥٠٠ ق٠م) فان هذه الكتابة كانت في طورها البدائي ولم تتطور بعد لاستخدامها في تدوين شؤون الحياة المختلفة • ويشمل هذا العصر النصف الثاني من دور الوركاء والدور المسمى « جمدة نصر » وعصر فجر السلالات الاول ، وتحققت فيه تطورات حضارية مهمة منها ظهور فن النحت والاختام الاسطوانية (Cylinder Seals) التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين في جميع عهودها ، كما تطور بناء المعابد وظهرت أوائل ما يسمى بالابراج المدرجة أو الزقورات ، كما تحسن جهاز الري والسيطرة على مياه الري الى غير ذلك من المقومات الحضارية التي اتسعت في العصور التالية بحيث يصح القول ان المعالم الاساسية لحضارة وادي الرافدين قد ظهرت في هذا العصر •

ب – العصور التأريخية :

بدأ العصر التأريخي في حضارة وادي الرافدين كما نوهنا مرارا في مطلع الالف الثالث ق٠م ، حين نضجت الكتابة المسمارية وصارت وسيلة ناجعة لتدوين شؤون الحياة المختلفة ، وظهرت الحضارة الناضجة بمختلف اوجهها ومقوماتها الاساسية مثل نظام الحكم والمدن والمعابد وتنظيم المجتمع بالقوانين • وقد اطلق على أقدم العصور التأريخية في العراق اسم عصر السلالات أو عصر « دول المدن » (Early Dynastic) أو (City-States) (٢٨٠٠ – ٢٣٧٠ ق٠م) ، اذ كان شكل الحكم السائد فيه على هيئة دول مدن ، مركز كل منها مدينة أو مجموعة من المدن ويتبعها عدد من المدن الاخرى والقرى الزراعية • وقد حكمت عدة سلالات من الحكام كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في أغلب الاحايين متعاصرة وتتنازع فيما بينها على توسيع السلطة والاراضي الزراعية والمياه ، وكان يتسنى لاحداها ان تبسط نفوذها وسيطرتها على دول المدن الاخرى فتتكون مملكة موحـــدة ، وتمت عملية التوحيـــد السياسي في نهاية هذا العصر عندما استطاع أحد الزعماء السياسيين المسمى « سرجون » الاكدي ان ينتزع السلطة من آخر حكام هذا العصر المسمى « لوكال زاگيزي » . وكان « سرجون » هذا من الساميين الذين استوطنوا العراق جنبا الى جنب مع السومريين منذ اقدم عهود الاستيطان ، ولكن الزعامة السياسية والثقافة كانت بأيدي السومريين . ومما يجدر ذكره عن هذا العصر من ناحية موضوع أدب حضارة وادي الرافدين ان عددا من مشاهير الشخصيات القصصية والاسطورية التي ذكرت في نصوص هـذا الادب ترجع في أزمانهـــا الى عصـــر السلالات وعلى رأسهم جلجامش و « اگا » وبطل الطوفان « اوتو ـ نبشتم » و « زيسودرا » و « اينمركار » و « ايتانا » و « دموزى » كما سيمر بنا ذلك من استعراضنا لهذه النصوص الادبية .

واستطاع سرجون الاكدي السالف الذكر ان يوحد القطر في دولة كبيرة واحدة وسعها هو وخلفاؤه مثل حفيده « نرام ـ سين » الى امبراطورية ضمت عدة أقاليم من الشرق الادنى . ودام حكم السلالة الاكدية زهـاء القرن الواحد (٢٣٧٠ ـ ٢٢٣٠ ق.م) ، واعقبتها فترة مظلمة في تأريخ العراق القديم قضى فيها جماعات من الاقوام الجبلية على السلالة الاكدية وعرفوا باسم الكوتيين (٢٢٣٠ ـ ٢١٢٠ ق.م) ، وحكمت في أثنائها دولة سومرية في منطقةلجش (منطقة تلو في محافظة الناصرية) اشتهر منحكامها « جوديه » الذي خلف عددا من تماثيله الجميلة وكتاباته الادبية باللغـــة السومرية . واعقب ذلك حكم سلالة سومرية أخرى عرفت باسم سلالة اور الثالثة (٢١١٢ ـ ٢٠٠٤ ق.م) ، استطاعت ان تؤسس مملكة قوية امتد سلطانها الى عدة أقطار في الشرق الادنى ، وازدهرت في عهدها الثقافـــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السومرية. والمرجح ان الكثير من النصوص الادبية السومرية قد وضعت في هـــذا العهد . وحدث في زمن آخر ملوكها المسمى « ابّي ـ سين » ان هجرات كبرى من الساميين الغربيين المعروفين باسم الاموريين قد اندفعت من بوادي الشام ومن الجهـــات الشمالية الغربية لوادي الفرات الاعلى وقضت مع العيلاميين على سلالة اور الثالثة . واسس زعماؤها عدة سلالات حكمت القطر كان الكثير منها متعاصرا وتتنازع فيما بينهـــا مثل ســـلالة « لارسا » (٢٠٢٥ ـ ١٧٦٣ ق.م) وسلالة « ايسن » (٢٠١٧ ـ ١٧٩٤ ق.م) ومملكة « اشنونا » (٢٠٠٠ ـ ١٧٦١ ق.م) ومملكة اشور القديمة (٢٠٠٠ ـ ١٧٦٠ ق.م) وســـلالة « مارى » (١٨٥٠ ـ ١٧٦١ ق.م) ، واشتهرت من بينها سلالة بابل الاولى (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق.م) ولا سيما ملكها السادس حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) مقنن الشريعة الشهيرة ، وقد وحد البلاد بعد ان قضى على آخر السلالات المتعاصرة مثل لارســـا واشنونا وبلاد آشور ومارى فكون مملكة كبرى اتسعت الى امبراطورية شملت معظم أجزاء الشرق الادنى .

وتميز هذا العصر ، الذي اطلق عليـــه اسم العصر البابلي القديم (٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م) والذي ستتكرر اليه الاشارة في كلامنا على النصوص الادبية ، بظهور حركة كبرى في التدوين والتأليف ، وفي مقدمة ذلـك الشرائع المدونة وتدوين النصوص الادبية المشهورة ، السومرية منهـــا والبابلية (الاكدية) وترجمة الكثير من القطـع الادبيـــة السومرية الى البابلية وسيأتي تفصيل القول في هذه النصوص الادبية . ولاول مرة في تأريخ حضارة وادي الرافـــدين دونت النصوص الرياضية حيث انتقلت المعارف الرياضية من مرحلة المعلومات العملية الى طور التدوين والبحث أي انها أصبحت علوما كمـا ظهرت المؤلفات اللغوية وكان بعضهـا أقـدم معاجم في تأريخ الدراسات اللغوية . ومما يقال عن هذا العصر أيضا ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه انتهت حياة السومريين السياسية فلم تقم منهم سلالات حاكمة ، ولكن اللغة السومرية ظلت لغة للتدوين والثقافة جنبـــا الى جنب مع اللغـــة البابلية والاشورية .

وبالنسبة الى بلاد آشور في شمالي العـراق ظهرت فيهـا اقدم عصور ما قبل التاريخ ، ولكنها كانت تابعة من الناحيتين السياسية والثقافية الى دول الجنوب الى ما بعد عهد حمورابي حيث استقلت وقامت فيها جملة سلالات حاكمة مستقلة كانت تتدرج في القوة الى ان ظهر فيها منذ القرن العاشر ق.م دول قوية اتسعت بالفتوحات الخارجية الى امبراطوريات معظمـــة شملت معظم أجزاء الشرق الادنى ، ودخلت بلاد بابل تحت نفوذها منذ القـــرن الثامن ق.م . واســـهم الملوك الآشوريون في تعضيد تدوين النصوص المختلفة كالنصوص التأريخية والدينية واللغوية ، وقد انشأ الملك الشهير « آشور بانيبال » (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) في قصره في نينوى مكتبة ضخمة من الواح الطين كان لاكتشافها منذ منتصف القرن الماضي الفضل الاكبر في معرفتنا بآداب حضارة وادي الرافدين وعلومها ومعارفها ، وستتكرر الاشارة الى هذه المكتبة في كلامنا على النصوص الادبية التي ترجع نسخ الكثير منها الى ألواح هذه المكتبة .

واعقب العصر البابلي القديم في بلاد بابل عدة سلالات حاكمة كانت ضعيفة بالمقارنة مع الدولة الآشورية ، اشهرها سلالة بابل الثالثة (١٥٠٠ - ١١٥٦ ق.م) التي تعرف أيضا باسم السلالة الكاشية أو الكشية ، وقد حدث في عهدها من ناحية موضوعنـــا انتعاش أدبي ملحوظ من حيث التدوين والاستنساخ واحياء التراث القديم ، وتلتها في الحكم سلالات أخرى كان آخرها الدولة الكلدانية التي تعرف باسم الدولة البابلية الحديثة أيضـــا (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) . وقد اسهم مؤسسها « نبوبولاصر » في اسقاط الدولة الآشورية مع الماديين (٦١٢ ق.م) ، واشتهرت بحكم احـــد ملوكهـــا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م)، وكانت آخر دولة وطنية تقوم في البلاد حيث اعقبتها عهود صار فيها القطر خاضعا للدول الاجنبية اولاها الفرس الاخمينيون (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق٠م) ثم الاسكندر الكبير وخلفاؤه من السلوقيين (٣٣١ ـ ١٢٦ ق٠م) وقد تأسس العهد السلوقي في العراق في العام ٣١١ ق٠م ، وازدهرت فيه الثقافة البابلية والتدوين بالخط المسماري حيث يعد هذا العهد الدور الثاني المهم الذي جاءتنا منه نصوص رياضية وفلكية وبعض المعارف الاخرى ٠ وحكم العراق من بعد السلوقيين الفرس الفـــرثيون أو الارشـــاقيون (Parthians) (١٢٦ ق٠م ـ ٢٢٦م) ، وازدهرت في هذا الدور في العراق جملة مدن ومراكز عمرانية مثل مدينة آشور وبابل والوركاء والحضر وأخيرا دخـل القطـر تحت حكم الفرس الساسانيين (٢٢٦ ـ ٦٣٧م) الذي انتهى حكمهم بالفتح الاسلامي (موقعة القادسية ٦٣٧ ميلادي(+)٠

(+) للاستزادة من التعرف على أدوار حضـــــارة وادي الرافدين واحوالها السياسية وخلاصة خصائصها ومنجزاتها الحضارية نحيل القارىء الى كتابنا الموسوم « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثبت بالأدوار الحضارية

١ ـ عصور ما قبل التاريخ : (Pre-historic Periods)

اولا : العصر الحجري الـ « ايوليثي » (Eolithic)

دور حجري قديم غير واضح ، يقع زمنه في بداية دهر البلايستوسين (Pleistocene) ، وتعزى اليه طائفة من الادوات الحجرية البدائية تسمى الادوات الحصوية (Pebble Tools) لم يعثر عليها في العراق ولكن وجدت نماذج منها في افريقية وأجزاء أخرى قليلة من الارض .

ثانيا : العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

زمنه منتصف دهر « البلايستوسين » الى نهاية العصور الجليدية في اوربة ، أي من حدود ٥٠٠ر٠٠٠ الى ١٠ر٠٠٠ ق.م ، ويقسم الى الادوار التالية :ـ

أ ـ العصر الحجري القديم الادنى (Lower Palaeolithic)

١ ـ الابيفيلي (Abbevillian)

كان يدعى سابقا الدور الشيلي (Chellean) ، وزمنه في اوربة في الفترة الجليدية الاولى(*) (گنز ـ مندل Günz-Mindel) . لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن ، ولكنها وجدت في وادي النيل وشمالي افريقية وأجزاء أخرى من العالم . عاش فيه نوع الانسان البائد « هايدل برج » ، ونوع الانسان الاطلسي (نسبة الى جبال الاطلس في شمالي افريقية) .

(*) اسماء العصور الجليدية في أوربة واطوالها الزمنية التقريبية :

١ ـ گنز (Günz) : ٦٠٠ر٠٠٠ ـ ٥٤٠ر٠٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ الكلاكتوني (Clactonian)

زمنه الفترة الجليدية الثانية (مندل ـ رس) • لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن •

٣ ـ الآشولي (Acheulian)

اطول ادوار العصر الحجري القديم • ابتداؤه في اوربة من الفترة الثانية الى الفترة الثالثة • تسمى أطواره في شمالي افريقية : الآشولي الاول والثاني والثالث • بعض الادوات الحجرية منه وجدت في شمالي العراق (برده بلكا قرب جمجمال) •

٤ ـ اللفالوازي (Levalloisian

زمنه في أواخر الفترة الجليدية الثالثة ، وله صلة بالدور « الفالوازى ـ المستيرى » التالي •

ب ـ العصر الحجري القديم الاوسط (Middle Palaeolithic)

١ ـ لفالوازي ـ مستيرى

٢ ـ مستيري (Mousterian)

زمنه في الفترة الجليدية واستمر الى العصر الجليدي الرابع • عاش فيه نوع الانسان القديم المسمى « نياندرتال » (Neanderthal) الذي وجدت نماذج كثيرة من هياكله العظمية في أجزاء الكرة ومن بينها شمالي العراق

= فترة الـ « كنز ـ مندل » : ٥٤٠ر٠٠٠ ـ ٤٨٠ر٠٠٠

٢ ـ مندل (Mindel) : ٤٨٠ر٠٠٠ ـ ٤٣٠ر٠٠٠

فترة الـ « مندل ـ رس » : ٤٣٠ر٠٠٠ ـ ٢٤٠ر٠٠٠

٣ ـ رس (Riss) : ٢٤٠ر٠٠٠ ـ ١٨٠ر٠٠٠

فترة الـ « رس ـ ورم » (Riss-Würm) : ١٨٠ر٠٠٠ـ ١٧٠ر٠٠٠

٤ ـ ورم (Würm) : ١٢٠ر٠٠٠ـ١٥ر٠٠٠ او ١٠ر٠٠٠ ق٠م٠

ملاحظة : يقابل العصور الجليدية الاوربية عصور ممطرة (Pluvials) في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الارض ومنها الشرق الادنى وشمالى افريقية • ويقابل الفترات الجليدية الاوربية عصور جفاف في تلك المناطق •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(كهف شانيدر الطبقة D ، وفيها أدوات الدور المستيرى) • يسمى في شمالي افريقية « المستيري – العتيري » •

ج – العصر الحجري القديم الاعلى (Upper Paleolithic)

شغل في اوربة الجزء الاخير من دهر البلايستوسين (العصر الجليدي الرابع قبل نحو ٥٠٫٠٠٠ أو ٤٠٫٠٠٠) • ساد فيه نوع الانسان الحديث المسمى « الانسان العـــاقل » (Homo Sapiens) • اطلـــق على الادوات الحجرية الممثلة لهذا الدور في شمالي العراق اسم الدور « البرادوستي » (نسبة الى جبال برادوست) ، وتعود اليه الطبقة B في كهف شانيدر ووجدت أدواته أيضا في كهفي « هزار ميرد » و « زرزى » (في منطقة جبال السليمانية) • اطلق عليـــه في شمالي افريقية الدور « القفصي » (الاجزاء الداخلية) و « الوهراني » (الاجزاء الساحلية) • ويقسم في اوربة الى أربعـــة أدوار : **(١) الاورغنيشي** (Aurignacian) (٢٨٠٠٠ – ٢٢٠٠٠ ق٠م) والسلوترى (Solutrean) والمكدليني (Magdalenian) **الذي اشتهر في اوربة بفن الرسوم في الكهوف** •

ثالثا : العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)

زمنه بعيد العصر الجليدي الرابع (الاخير) ، ويسمى أيضا دور الادوات الحجرية الدقيقة (Microlithic) ، واطلق عليـــه في شمالي العراق الدور « الزرزى » (نسبة الى كهف زرزى قرب السليمانية) • وجدت آلاته الحجرية الممثلة في الطبقة C من كهف شانيدار ، كما وجدت آثاره في عدة مواقع أخرى في شمالي العـراق اشهرها « زاوى جيمي » (على الزاب الاعلى بالقرب من كهف شانيدر) و « بالى گورا » ، وملفعات وكريم شهر • يسمى في بلاد الشام الدور « النطوفي » • ظهرت فيه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الادنى طلائع تدجين الحيوان والزراعـــة (Incipient food production) •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا : العصر الحجري الحديث :

بدايته في حدود الالف الثامن أو السابع الى ٥٦٠٠ ق٠م٠ يمكـن تقسيمه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الادنى الى الادوار التالية :ـ

١ ـ بداية الحجري الحديث أو أواخر الحجري الوسيط (Proto-Neolithic)

حيث وجدت آثاره الممثلة في الطبقات A, B2 من كهف شانيدر وفي زاوى جمي وكريم شهر وملفعات وگرد جاى ٠

٢ ـ دور ما قبل الفخار (Pre-Pottery Neolithic)

لم يظهـــر الفخار فيـــه ، وتمثله الطبقات السفلية من « جرمو » **(١٦ـ٦) حيث الفخار وجد في الطبقات الخمس العليا ، وكذلك في الطبقة** العليا من زاوى چيمي وفي تل شمشارة (الطبقات ١٤ ـ ٦) ٠

٣ ـ دور الفخار (Pottery Neolithic)

في جرمو الطبقات العليا ٥ ـ ١ ٠ والطبقات السفلى من تل حسونة ، والطبقات السفلى من تل « الصوان » وجملة مواقع أخرى ٠

خامسا : العصر الحجري ـ المعدني : (Chalcolithic)

في حدود ٥٦٠٠ـ٣٥٠٠ ق٠م ويقسم الى الادوار التالية :

أ ـ حجري ـ معدني قديم (Early Chalcolithic)

١ ـ دور حسونة : في تل حسونة وتل الصوان وشمشارة وغيرها ٠

٢ ـ دور سامراء : في المواضع المذكورة في (١) وغيرها ٠

ب ـ حجري ـ معدني وسيط (Middle Chalcolithic) :

١ ـ دور حلف : أ ـ حلف قديم : ما قبل الطبقة العاشرة في تل الاربجية ٠

ب ـ حلف وسيط : الطبقات ١٠ـ٧ من الاربجية ٠

جـ ـ حلف متأخر : الطبقة ٦ من الاربجية ٠

٢ ـ دور العبيد الاول : طور « اريـدو » (الطبقات ١٩ـ١٥ في

اريدو) .

٣ ـ **دور العبيد الثاني:** طور فخار « حاج محمد » وفخار رأس العمية (قرب كيش) .

لم يعثر على آثار دور حلف في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق ويعاصره دور العبيد الاول في الجنوب .

ج ـ حجري ـ معدني متأخر (Late Chalcolithic) :

١ ـ **دور العبيد الثالث** (كان يسمى العبيد القديم سابقا) .

٢ ـ **العبيد الرابع** (العبيد المتأخر سابقا)

٣ ـ **دور الوركاء :** أ ـ الوركاء القديم (الطبقات ١٢ـ٧ من الوركاء) .

ب ـ **الوركاء الوسيط** (الطبقات ٦ـ٥ من الوركاء) .

سادسا : العصر الشبيه بالكتابي او الشبيه بالتأريخي ٣٥٠٠ـ٢٨٠٠ ق.م
(Proto-Literate. Proto-Historic)

١ ـ **دور الوركاء الاخير** (في الوركاء الطبقات ٥ و٤ أ ، ب ، ج)

٢ ـ **دور جمدة نصر** (٣٠٠٠ـ٢٩٠٠ ق.م.) .

٣ ـ **عصر السلالات الاول** (٢٩٠٠ـ٢٨٠٠ ق.م.) .

٢ ـ العصور التأريخية

١ ـ **عصر السلالات او عصر دول المدن** (Early Dynastic)
٢٨٠٠ـ٢٣٧٠ ق.م.

أ ـ **عصر السلالات الثاني** (٢٨٠٠ـ٢٦٠٠ ق.م.).

ميسلم ـ سلالة كيش الاولى ـ سلالة الوركاء الاولى ـ الواح تل « فاره » .

ب ـ **عصر السلالات الثالث** (٢٦٠٠ـ٢٣٧٠ ق.م.) .

المقبرة الملكية : مس ـ كلام ـ دوگ ، آ ـ كلام ـ دوگ ، جلجامش ، سلالة لجش الاولى (سلالة أور ـ نانشه) ،

« اوما » وغيرها من المدن السومرية ، سلالة « أور الاولى »
« ميسا نيدا » ، لوكال ـ زاكيزي .

٢ ـ العصر الاكدي (السلالة الاكدية) (٢٣٧٠ـ٢٢٣٠ ق.م)

سرجون (٢٣٧٠ـ٢٣١٦) ، « نرام ـ سين » (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق.م.) .

٣ ـ الدور الگوتي وسلالة لجش الثانية (٢٢٣٠ـ٢١٢٠ ق.م)

عصر گوديه .

٤ ـ سلالة أور الثالثة (٢١١٢ـ٢٠٠٤ ق.م)

اور ـ نمو (٢١١٢ـ٢٠٩٥ ق.م.) شولگي (٢٠٩٤ـ٢٠٤٧ ق.م.)
« امار ـ سين » او « بور ـ سين » (٢٠٤٦ـ٢٠٣٨ ق.م) . شو ـ سين (٢٠٣٧ـ٢٠٢٩ ق.م.) . ابّي ـ سين (٢٠٢٨ـ٢٠٠٤ق.م)

٥ ـ العصر البابلي القديم (٢٠٠٠ـ١٥٠٠ ق.م)

أ ـ سلالة لارسا (٢٠٢٥ـ١٧٦٣ ق.م.) ، مؤسسها « نبلانم » .

ب ـ سلالة ايسن (٢٠١٧ـ١٧٩٤ ق.م) ، مؤسسها « اشبي ـ ايرا » .

جـ ـ سلالة « اشنونا » (٢٠٠٠ـ١٧٦١ ق.م) . من مشاهير ملوكها « شمسى ـ ادد » الاول ، وابالبيل الاول ، و « نرام ـ سين » و « دادوشا » وابالبيل الثاني (١٧٩٠؟ـ١٧٦١ ق.م) .

و ـ بلاد آشور (٢٠٠٠؟ ـ ١٧٦٠ ق.م.)

« شمسي ـ ادد » الاول (١٨١٣ـ١٧٨١ ق.م.) .

و ـ سلالة بابل الاولى (١٨٩٤ـ١٥٩٥ ق.م.) .

مؤسسها « سومو ـ آبم » وسادس ملوكها « حمورابي » **(١٧٩٢ـ١٧٥٠) وآخر ملوكها « سمسو ـ ديتانا »** (١٦٢٥ـ١٥٩٥ ق.م.) .

- **العصر الكشي (١٧٠٠؟ ـ ١١٥٧ ق٠م) :**

الكشيون في بلاد بابل باسم سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥–١١٥٧ ق٠م٠)

- **سلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية : ١٧٤٢ ـ ؟) :**
- **العصر البابلي الوسيط (١٥٠٠–٦٢٧ ق٠م) :**

السلالة الكشية السابقة والسلالات البابلية من الرابعة الى العاشرة ٠

- **العصر البابلي ـ الحديث** (Neo-Babylonian) **(٦٢٧–٥٣٩ ق٠م)**

سلالة بابل الحادية عشرة : نبوبولاصر (٦٢–٦٠٥ ق٠م٠) وابنه « نبو خد نصر » (٦٠٥–٥٦٢ ق٠م٠) ونبو نيدس (٥٥٥–٥٣٩ ق٠م٠) ، استيلاء كورش على بلاد بابل (٥٣٩ ق٠م٠) ٠

العصر الفارسي الاخميني (في العراق ٥٣٩–٣٣١ق٠م) :

اشهر ملوكه : كورش الثاني (٥٥٩–٥٣٠ ق٠م٠) ، ودارا الاول ٥١٨–٤٨٦ ق٠م) وآخر ملوكه دارا الثالث (٣٣٥–٣٣١ ق٠م٠) ٠

الاسكندر الكبير والعصر السلوقي (٣٣١–١٣٨/١٢٦ق٠م) :

ولد الاسكندر في ٣٥٦ ق٠م٠ ، وخلف اباه فيلب المكدوني في ٣٣٦ ق٠م٠ ، وبدأ فتوحه للشرق ٣٣٤ ق٠م٠ ، فتح العراق ٣٣١ ق٠م٠ (موقعة اربيلا) وتوفى في بابل في حزيران ٣٢٣ ق٠م٠ بداية العهد السلوقي في العراق في نيسان ٣١١ ق٠م٠

العصر الفرثي : (البارثي ، الارشاقي ، الاشغاني (الاشكاني) ، ملوك الطوائف) ١٣٨/١٢٦ ق٠م ـ ٢٢٧م :

العصر الساساني (٢٢٧–٦٣٧م) :

أشهر ملوكه : اردشير الاول (٢٢٦–٢٤١م) ، وشابور الاول (٢٤١–٢٧٢م) وشابور الثاني (٣٠٩–٣٧٩م) واخرملوكه يزدجرد الثالث (٦٣٣–٦٥١م) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الادوار التاريخية في بلاد آشور

١ ـ **عصور ما قبل التاريخ :** كما مر سابقا :

٢ ـ دور سيطرة دول الجنوب الى نهاية سلالة أور الثالثة (٢٥٠٠؟ـ٢٠٠٠ ق٠م) ٠

٣ ـ **العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ـ١٥٠٠ق٠م) :**

من مشاهير ملوكه : ايرشم ـ الاول ٠ سرجون الاول (انستعمرة التجارية الاشورية في تركية في كول تبه ، كانيش القديمة ٠ شمسي ـ ادد الاول (١٨١٣ـ١٧٨١ ق٠م) ٠

٤ ـ **العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ـ٩١١ق٠م) :**

من مشاهير ملوكه اشور ـ اوبالط الاول (١٣٦٥ـ١٣٣٠ ق٠م) **شيلمنصر الاول (١٣٧٤ـ١٣٤٥ ق٠م)** وتوكلتي ـ ننورتا الاول (١٣٤٤ـ١٢٠٨ ق٠م) ، وآشور ناصربال الاول (١٠٥٠ـ١٠٣٢ ق٠م) ٠

٥ ـ **العصر الآشوري الحديث (٩١١ـ٦١٢ ق٠م) ٠**

أ ـ **الامبراطورية الآشورية الاولى :** (٩١١ـ٧٤٥ ق٠م) ٠

من مشاهير ملوك العصر : ادد ـ نيراري الثاني (٩٩١ـ٨٩١ ق٠م) وتوكلتي ـ ننورتا الثاني (٨٩٠ـ٨٨٤ ق٠م) وآشـور ناصربال الثاني (٨٨٣ـ٨٥٩ ق٠م) وشيلمنصر الثالث (٨٥٨ـ٨٢٤ ق٠م) **وتجلا ثبليزر الثالث (٧٤٤ـ٧٢٧ ق٠م) ٠**

ب ـ **الامبراطورية الآشورية الثانية :** (٧٤٥ـ٦١٢ ق٠م)

شيلمنصر الخامس (٧٢٦ـ٧٢٢ ق٠م) ٠

السلالة السرجونية : سرجون الثاني (٧٢١ـ٧٠٥ ق٠م) سنحاريب (٧٠٤ـ٦٨١ ق٠م) ، اسرحـدون (٦٨٠ـ٦٦٩ ق٠م) ، آشور بانيبال (٦٦٨ـ٦/٦٢٧ ق٠م) ٠ آخر ملوكها « آشور اوبالط » الثاني (٦١١ـ٦٠٩ ق٠م) ، سقوط نينوى : ٦١٢ ق٠م٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الادوار العربية ـ الاسلامية

١ ـ عهد الرسول والخلفاء الراشدين (٦٠٠ـ٦٦١م) :
٢ ـ الامويون (٤١ـ١٣٢هـ/٦٦١ـ٧٥٠م) :
٣ ـ العباسيون (١٣٢ـ٦٥٦/٧٥٠ـ١٢٥٨م) :

حكم منهم ٣٧ خليفة ، أولهم ابو العباس السفاح وآخرهم المستعصم:

ا ـ الدور العباسي الاول ١٣٢ـ٢٣٢هـ/٧٥٠ـ٨٤٧م

دام زهاء ٩٠ عام وحكم فيه تسعة خلفاء من السفاح الى الواثق • أسس المنصور بغداد (١٤٥ـ١٤٩هـ/٧٦٢ـ٧٦٦م)• تأسيس سامراء في عهد المعتصم (٢٢١ـ٢٧٩هـ/٨٣٦ـ٨٩٢م)•

ب ـ الدور الثاني ٢٣٢ـ٣٣٣هـ/٨٤٧ـ٩٤٤م

نفوذ الفواد الاتراك • بدء انحلال الامبراطورية • حكم في هذا الدور ثلاثة عشرة خليفة • ظهور حركة القرامطة ٢٧٨هـ/ ٨٩٢/١م ، وحركة الزنج (٢٥٠ـ٢٦١هـ) •

ج ـ الدور الثالث : ٣٣٣ـ٤٤٧هـ/٩٤٤ـ١٠٣١م

حكم فيه خمسة خلفاء من المستكفي الى القادر بالله • تسلط البويهيين (من الديلم) ، وطردهم من جانب الاتراك السلاجقة • الحمدانيون في الموصل وتكريت •

د ـ الدور الرابع : ٤٤٧ـ٥٤٧هـ/١٠٣١ـ١١٥٢م

حكم فيه خمسة خلفاء • تسلط الاتراك السلاجقة ، استيلاء طغرل بك على بغداد ٤٦٢هـ/١٠٧١م • بداية الحروب الصليبية ٤٦٦هـ/١٠٧٤م • سلالة الاتابكة في الموصل على يد عمادالدين زنكي احد قواد ملكشاه السلجوقي •

هـ ـ الدور الخامس : ٥٣٠ـ٦٥٦هـ/١١٣٦ـ١٢٥٨م

سقوط بغداد على يد المغول (هولاكو) ٦٥٦/١٢٥٨م •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلالات المغولية والتركمانية والفارسية :

١ ـ الايلخانيون ٦٥٦ـ٧٣٨هـ/١٢٥٨ـ١٣٣٨م •

٢ ـ الجلائريون ٧٣٨ـ٨١٤هـ/١٣٣٨ـ١٤١١م •

٣ ـ القره قوينلو ٩١٤ـ٩٧٤هـ/١٤١١ـ١٤٦٨م •

(الخروف الاسود ، الشاه محمد بن قره يوسف) •

٤ ـ الآق قوينلو ٨٧٤ـ٩١٤هـ/١٤٦٩ـ١٥٠٨م •

(حسن الطويل اوزون) •

٥ ـ الصفويون ٩١٤ـ٩٣٠هـ/١٥٠٨ـ١٥٢٣م

الشاه اسماعيل ١٥٠٨ـ١٥٢٣ ، الشاه طهماسب •

الصفويون مرة ثانية ٩٣٦ـ٩٤١هـ/١٥٢٩ـ١٥٣٤م •

٦ ـ الاتراك العثمانيون ١٥٣٤ـ١٩١٧م •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخصائص العامة لأدب العراق القديم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة في الخصائص العامة

حوار ادبي قبل أكثر من اربعة آلاف عام :

elima ina eli tillani labiruti italak
amur gulgullete arkuti u panuti
ayyu bel limmuti-ma ayyu bel usati

اعل فوق الاطلال القديمة وتمش عليها
وانظر الى جماجم المتأخرين والماضين
فأيهم الاشرار وأيهم الصالحون ؟

هذه الابيات التي اوردنا نصها بلفظها في اللغـــة البابلية بالحروف اللاتينية وترجمتها العربية جزء من قصيدة وضعت عـــلى هيئـة حـوار (dialogue) تهكمي فلسفي بين سيد وعبده عاشا قبل « هوميروس » وغيره من شعراء العالم القديم المشهورين بعشرات القرون ، في احدى تلـــك المدن القديمة التي شيدت في سهول وادي الرافدين وازدهرت في آدابهـا وفنونها ومعارفها قبل ان تظهر الى الوجود أثينه وروميه بقرون كثيرة . ومع ان تلك المدن القديمة لم يبق منها الآن سوى رسومها ممثـلة بالالوف الكثيرة من الاطلال الدارسة المنتشرة في ربوع العراق ، بيد انها تحدت فناء الزمن وتسامت على قول الشاعر الامريكي « لونك فيلو » (Longfellow) لانها تركت وراءها اكثر من « آثار اقدام لها على رمال الزمن » . اجل انها خلفت من بعدها تراث « الكلمة المدونة » . والكلمة المدونة كانت ولاتزال جوهر الانسانية وفكرها الذي يميزها عن المملكة الحيوانية . واذا كانت « الكملة » ، وهي سر الوجود وأصل الوجود ، قد كانت منذالبدء ، وجدت منذ ان وجد الانسان وميزته عن سائر المخلوقات ، فان معجزة « تدوين الكلمة » قد تحققت في وادي الرافدين لاول مرة في مسيرة الانسان المضنية عبر العصور المتطاولة ، وعندئذ انتقلت البشرية من ظلام « أميتها » التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استغرقت نحو تسعه وتسعين بالمائة من عمر الانسان على هذه الارض قبل زهاء مئوني عام • وسرعان ما تطورت الكلمة المـدونة في حضارة وادي الرافدين فصارت أدبا وتأريخا وعلما ، فشرعت طاقات الفكر الانساني وابداعه تتفتح وتزدهر ، والتجارب والخبرات البشرية تتراكم وتتوارثها الاجيال عن طريق « الكلمة المدونة » التي لولا ظهورها في حضارة وادي الرافدين لما ازدهرت أثينه وروميه وغيرهما من مراكز الحضارات البشرية في علومها وآدابها وفلسفتها •

وشاءت الصدفة الحسنة ان لا يجد كتبة العراق القديم ايسر واسهل من « الطين » يدونون فيه الكلمة اي الفكر • فالطين ، بخلاف سائر مواد الكتابة التي استعملتها الحضارات الاخرى ، لا يفنى • انه « طين العراق الخالد » الذي حفظ لنا اولى تجارب رائـــدة في تاريخ البشرية حققها العراقيون القدامى يوم انتقلوا الى الحضارة والمدنية ، وهي التجربة المثيرة في تاريخ تطور الانسان المديد ، والتي لاتزال البشرية نعيشها وتعانيهـــا بخيرها وشرها •

ميزات أدب العراق القديم وخصائصه العامة :

قبل أن نتناول بالوصف أشهر القطع الادبية التي وصلت الينا من أدباء العراق القديم ، نمهد لذلك بايراد بعض الملاحظات التوضيحية عن خصائص أدب العراق القديم وميزاته العامة :

١ ـ قدم أدب حضارة وادي الرافدين :

ونبدأ من هذه الخصائص العامة الموضحة بالبرهنة على أن أدب حضارة وادي الرافدين أقدم أدب انتجه الانسان ، على ما اجمع عليـه الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة ، فكان بذلك اولى المحاولات في تاريخ الانسانية للتعبير عن الحياة وقيمها ومعانيها باسلوب الفن الادبي • ولكي لا يكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الرأي من قبيل ارسال القول على عواهنه ينبغي الا نكتفي بمجرد الاستشهاد باجماع الباحثين ، بل ندلل على ذلك بانتهاج اسلوب البحث العلمي بأن نقارن ما بين زمن أدب وادي الرافدين وبين أزمان آداب الحضارات القديمة الاخرى • وموجز مايقال بهذا الصدد إنه على الرغم من ان الزمن الذي دونت فيه أشهر النصوص الادبية في حضارة وادي الرافدين لا يتجاوز اواخر الالف الثالث وأوائل الالف الثاني ق•م الا أن تلك النصوص الادبية قد تم ابداعها وانتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها ، وقد تناقلتها الاجيال المتعاقبة بالرواية الشفهية فوقع فيها الكثير من التطور الى ان بدأ القوم يدونونها في الواح الطين باشكالها النهائية الاخيرة التي جاءت فيها الينا منذ مطلع الالف الثاني ق•م•

فاذا قارنا قدم هذا الادب ، سواء كان ذلك من ناحية زمن ابداعه أم زمن تدوينه ، بأقدم آداب انتجتها الحضارات القديمة وجدناه يسبق جميع ما انتجه الفكر البشري بعشرات القرون • فبالمقارنة مع حضارة مصر القديمة مثلا لما يأتنا شيء من أدبها من عصر ازدهارها في العصر المسمى في تاريخ حضارة وادي النيل بعصر الاهرام (الالف الثالث ق•م) • وخلف الكنعانيون الذين كانوا من أشهر واكبر الاقوام السامية التي استوطنت الاقسام الساحلية من بلاد الشام ، نتاجا أدبيا مهما يرقى في زمنه الى منتصف الالف الثاني ق•م ، كما اظهرت ذلك الاكتشافات الاثارية الحديثة في المستوطن الكنعاني القديم المسمى « أوغاريت » (رأس الشمرا الان بالقرب من اللاذقية)[1] ، أي ان زمن هذا الادب الكنعاني متأخر بالنسبة الى أدب

(١) حول النتائج الباهرة التي اظهرتها التنقيبات الاثرية الفرنسية في اوغاريت منذ عام ١٩٢٨م ، راجع ايجاز ذلك في كتابي « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (الجزء الثاني ١٩٥٦) وكذلك :
C. Schaffer, Ugaritica, III, (1956); Acta Orientalia, (1955), Virolleaud, Palais Royale d'Ugarit, (1957),
وعن نصوص الادب الكنعاني :
Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern Texts, (1969).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضارة وادي الرافدين بما لا يقل عن خمسة قرون • وتاخـذ الادب العبراني على سبيل المقارنة حيث لا يتعدى زمن اقدم نتاج له ، ممثـلا باسفار التوراة ، القرن السادس ق•م ، اي انه متأخر عن عهد أدب العراق القديم بعشرات القرون • ونسوق للمقارنة ايضا اقدم ادب انتجته الحضارة الاغريقية ممثلا بالاوديسة والالياذة المنسوبتين الى هوميروس واللتـين لا يتجاوز زمن تدوينهما القرن السابع او الثامن ق•م على اكثر تقدير • ومثل هـذا يقـال عن أقـدم أدب خلفتـه الهنـد القديمـة • ونعني نصـوص الـ « رگ‌فيدا » (Rig vida) وادب ايران القديمة الذي تمثله الافستا (الابستاق Avesta) •

وسيتضح من الامثلة التي سنوردها عن النصوص الادبية في العراق القديم انه على الرغم من سبق هذا الادب جميع الآداب العالمية الشـهورة التي عددناها ، فانه لما يثير الدهشة في الباحث الحديث ان يجد ذلك الادب الموغل في القدم يتميز بالمقومات الاساسية التي تميز الآداب العالمية الشهيرة ، سواء كان ذلك من ناحية الاسلوب وطرق التعبير ام من ناحية الموضوع والمحتوى والصور الفنية المعبرة ، والاصالة والجرأة وأهمية الموضوعات التي تناولها •

٢ ـ وبالاضافة الى صفة القدم فان أدب حضارة وادي الرافدين يتميز على الآداب القديمة بخاصية أخرى مهمة ، تلك هي ان معظم تلك الاداب القديمة قد طرأ عليها الكثير من التحوير والتبديل والحذف والاضافة على ايدى النساخ والجامعين والشراح ، في حين ان الادب السومري والبابلي قد جاء بهيئته الاصلية غير محور كما دون باقلام الكتبة على الواح الطين قبل نحو (٤٠٠٠) عام[٢] • وهي الالواح المدونة بالخط الذي أطلق عليه

---

(٢) انظر :

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, (1944)

وعن الخط المسمارى واصله وحل رموزه راجع كتاب المؤلف « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ •

ومن الطريف ذكره بهذا الصدد انه مع هذا القدم الموغل في الزمن فأن ادباء العراق القديم عدوا انفسهم حديثي العهد في الحضارة وانهم ورثاء ماض مجيد متقادم العهد ، تخيلوه على هيئة « عصر ذهبي » كان السلام والخير يسودان الارض فيه ، فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع الانسان البقاء ، وكان « البشر بلسان واحد يمجدون الاله أنليل » ، كما ورد ذلك في احدى الاساطير السومرية[٣] • ولا يخفى ان هذه الفكرة التي تصور عهدا متخيلا كان البشر فيه اسعد من عصرهم الراهن قد انتشرت الى كثير من الاقوام على هيئة « الماضي الذهبي » ، ولم تتمكن فكرة « التقدم » من الانتشار الا في العصور الحديثة ، ولايزال الكثير من اهل العصر الحاضر من يتصور وجود ذلك « الماضي الذهبي » •

٣ ـ نسبة عدد النصوص الادبية في مجاميع الواح الطين المكتشفة :

اذا كانت مصادرنا عن أدب العراق القديم النصوص الاصلية المدونة بالخط المسماري في الواح الطين ، فما مقدار الالواح التي تتضمن هذه النصوص الادبية بالنسبة الى عدد ما جاء الينا من مجموع الواح الطين التي اكتشفت في بقايا المدن القديمة ؟ وما المقصود في مصطلح النصوص او الالواح الادبية ؟ وللاجابة على هذا السؤال بوجه الايجاز نقول ان ما استخرج من الواح الطين المختلفة النصوص الى هذا اليوم يبلغ مئات الالوف ، وقد يناهز المليون لوح مما هو موزع الآن في المتاحف العالمية المشهورة • على ان هذا العدد ، على كثرته ، لا يؤلف في الواقع الا نسبة غير كبيرة مما لا يزال مطمورا في الاطلال القديمة المنتشرة في شتى ربوع العراق وفي بعض الاقطار المجاورة التي اقتبست حضاراتها القديمة الخط المسماري من وادي الرافدين في تدوين لغاتها ومعه الكثير من التراث الادبي والفني من

(٣) Kramer, Ibid.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضارة وادي الرافدين مثل العيلاميين في الاجزاء الجنوبية الغربيه من **ايران** ، والفرس الاخمينيين والحثيين في بلاد الاناضول وبعض الاقوام في بلاد الشام • اما تخمين نسبة عدد الالواح المدونة بالنصوص الادبية الى عدد ما ذكرناه من مجموع ما جاء الينا من الواح الطين المختلفة فهي نسبة قليلة ، لا يتجاوز عددها بضعة الاف ، لعله ما بين ثلاثة الى اربعة الاف لوح • بيد انه لا يمكن التكهن عما سيكشف عنه المستقبل من نصوص ادبية اخرى قد تغير وتضيف الى معرفتنا الراهنة بادب العراق القديم اشياء كثيرة • ولكن مع ذلك يمكن القول بوجه عام ان ما كشف عنه وتم درسه ونشره من نصوص أدبية لحد الان يعبر عن المعدل أو الصورة العامة لنصوص هذا الادب من حيث المواضيع التي تناولها وخصائصه ومفوماته العامة المميزة •

ومع انه يمكن اجمال ما نقصده بالالواح الادبية بانها النصوص الكتابية التي لا تتعلق بتدوين شؤون الحياة الاعتيادية كالمعاملات التجارية والقانونية والرسائل والشؤون الادارية ، وان كل ما عدا مثل هذه النصوص الاعتيادية يدخل في صنف النصوص الادبية ـ نقول مع ذلك ان هذا التعريف مبهم أو سالب فينبغي لنا أن نضيف الى ذلك ان اعتبارنا لهذا الصنف من الواح الطين على انه نصوص ادبية يستند الى المفاهيم المتعارف عليها في الادب ، من ناحية اسلوب التأليف اللغوي كوسيلة للتعبير الفني لنقل التجارب والصور والخبرات والاحاسيس الى القارىء أو السامع ، الى غير ذلك من الخصائص التي يتصف بها النتاج الادبي في جميع العصور ، وبالوسع ايجاز ذلك في ثلاثة امور :

أ ـ الموضوع او الفكرة التي تعبر عنها القطعة الادبية •

ب ـ الاسلوب الادبي الفني ، سواء كان شعرا ام نثرا ، المتميز بطراز خاص من النظم والتأليف المؤثر في مشاعر القارىء او السامع •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جـ ـ اختيار الحوادث والمواقف المؤثرة بالنسبة الى مفاهيم الحضارة التي انتجت الادب المبحوث فيه • وسيتضح مما سنذكره من القطع الادبية من حضارة وادي الرافدين تحقق هذه المقاييس الادبية المتعارف عليها •

٤ ـ الازدواج اللغوي في أدب حضارة وادي الرافدين :

من الملاحظات المهمة التي يجدر ذكرها في هذه المقدمة لفهم ادب العراق القديم امر يتعلق باللغة التي دون بها هذا الادب • فمن الحقائق التاريخية المعروفه عن حضارة وادي الرافدين انها كانت ، من الناحية اللغوية ، مزدوجة اللغة او ثنائية اللغة (bilinguaal) (*) حيث اللغتان المشهورتان : اللغة السومرية واللغة الاكدية (أي البابلية والاشورية) ، وهي الفرع الشرقي من عائلة اللغات السامية(**) فاللغة الاولى ، اي السومرية ، كانت لغة السومريين الذين لا نعرف عن اصلهم ومهدهم اشياء مؤكدة سوى انهم ليسوا ساميين ولغتهم ليست من عائلة اللغات السامية ولا من عائلة اللغات الهندية ـ الاوربية أو أية عائلة لغات أخرى معروفة • وكانت السومرية منذ ظهور التدوين اى الكتابة في حضارة وادي الرافدين في أواخر الالف الرابع ق•م اللغة السائدة في التدوين على الرغم من وجود الساميين في بلاد وادي الرافدين جنبا الى جنب مع السومريين منذ بداية الاستيطان البشري في السهل الرسوبي في مطلع الالف الخامس ق•م• وكان الطابع الثقافي والسياسي المميز في الادوار القديمة من حضارة وادي الرافدين الثقافة السومرية بلغتها وأدبها ومعارفها المختلفة • ولكن سرعان ما برز كيان الساميين السياسي كما برزت لغتهم في التدوين بشكلها الاكدي في عهد

(*) راجع ايجاز هذا الموضوع في كتابي الموسوم : « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (الطبعة الثالثة ١٩٧٣) وفيه الاشارات الى الدراسات والبحوث المختلفة في الموضوع •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلالة الاكدية السامية (٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق٠م) التي اسسها سـرجون الاكدي الشهير • وتزايد اتساع التدوين والتكلم بهـا ايضا حتى طغى على اللغة السومرية منذ مطلع الالف الثاني ق٠م وساد الساميون في الحياة السياسية ايضا • ولكن مع زوال السومريين من الحياة السياسية في الالف الثاني ق٠م ظلت لغتهم ، مثل اللاتينية في أوربة ، لغة ثقافية أساسية ، كما بقيت الثقافة السومرية حية واستمر التدوين بالسومرية جنبا الى جنب مع اللغة الاكدية بفرعيها الاساسيين البابلية والاشورية الى آخر عهود وادي الرافدين تقريبا •

واستتبع عن هذا الازدواج اللغوي في حضارة وادي الرافدين نتائج ثقافية ولغوية وكتابية كثيرة لا مجال لذكرها في هـذا الموضوع ، فيكفي ان نقول من ناحية موضوعنا انه لا يمكن فهم النصوص الادبية في هـذه الحضارة ما لم يؤخذ بنظر الاعتبار هذا الازدواج اللغوي ، سواء كان ذلك من ناحية ترجمة الكثير من القطع الادبية السومرية الى اللغـة البابلية ، أم من ناحية تأثر النتاج الادبي البابلي باصول سومرية ، أم من حيث استعمال الكثير من المصطلحات الكتابية السومرية في القطع الادبية البابلية ، وتأثر هذه القطع بالاساليب اللغوية الادبية السومرية • وان هذا يصدق بوجه عام على فهم جميع النصوص الكتابيـة الاخرى التي خلفتهـا حضارة وادي الرافدين •

٥ ـ تحملنا هذه الحقيقة على ذكر ملاحـظة اخرى تتعلق بمدى تفهمنا ، نحن ابناء الازمان الحديثة ، للنصوص الادبية التي جاءتنا من حضارة وادي الرافدين عن طريق ترجمتها من جانب المختصين الى اللغات الحديثة • فمما يقال بهذا الصدد انه على الرغـم من ان فهم الباحثين المختصين باللغتين السومرية والبابلية لنصوص هذا الادب مستند الى اسس علمية لا يرقى اليها الشك من بعد حل رموز الخط المسماري منذ منتصف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرن الماضي(*) ، وان هؤلاء المختصين متفقون على ترجمة القطع الادبية باستثناء اختلافات واجتهادات كثير منها غير جوهري ـ نقول مع كل ذلك ومهما بلغت ترجمة هؤلاء الباحثين من دقة الاداء فانها لا تستطيع ان تنقل لنا الروح الاصلية والمناخ الفكري والعاطفي المميز لتلك النصوص ، شأنها في ذلك شأن الاداب العالمية الاخرى اذا ما نقلت من لغاتها الاصلية الى لغة اخرى ، لاسيما في حالة نتاج أدبي مثل ادب حضارة وادي الرافدين تبعدنا عنه الاف السنين . ولعله يمكن القول بهذا الصدد ان نقل النصوص الادبية الى اللغة العربية يخفف جانبا كبيرا من تلك العقبة ، فاللغة العربية اليق اللغات في التعبير الدقيق عن هذه النصوص لانها أخت اللغة البابلية ، فكلتاهما من عائلة لغوية واحدة ، هي عائلة اللغات السامية المتشابهة افرادها في تراكيبها اللغوية ومعاني مفرداتها ولفظ هذه المفردات ، ناهيك عن التشابه القوي ما بين العرب وبين الاقوام السامية الاخرى ومنهم الاكديون والبابليون والآشوريون .

٦ ـ تراث ادب حضارة وادي الرافدين في الحضارات الاخرى :

بالاضافة الى ميزة القدم التي نوهنا بها عن أدب العراق القديم وانه يسبق أقدم أدب عرفه الانسان ، فان لهذا الادب أهمية خاصة في تاريخ تطور الحضارات البشرية والفكر الانساني ، تلك هي اجماع مؤرخي الحضارة على عظم التراث الذي خلفه ذلك الادب في الحضارات القديمة الاخرى والثقافات المعاصرة ، فهو على ذلك لا يقتصر على كونه ادبا قديما مثل دوره في تطور الفكر البشري ومات ، بل انه لا يزال حيا عن طريق التأثيرات التي خلفها في آداب الحضارات الاخرى التالية .

(*) عن ايجاز الطرق التي اتبعت في حل رموز الخط المسماري راجع كتابي : « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا كان بمقدور الاستشهاد بالعناصر الحضارية الكثيرة التي انتقلت من حضارة العراق القديم الى الحضارات الاخرى – ولعل القارىء سيقف على طائفة من هذه التأثيرات في اثناء تصفحه القطع الادبية التي سنعرضها – لطول اذا تعذر ذلك فنكتفي من الموضوع بايراد الاسس المعتمدة في منهج البحث التاريخي فيما يتعلق باقتباسات الحضارات بعضها من بعض ، وقد استطاع الباحثون بانتهاجها البرهنة على الحقيقة التي ذكرناها ، ويمكن ايجازها في الاسس الثلاثة الآتية :

أ – اثبات السبق الزمني لادب حضارة وادي الرافدين ، وقد سبق ان برهنا على ذلك .

ب – اثبات وجود الاتصالات التاريخية وتحديد الطرق التي انتقل فيها الكثير من العناصر والمقومات من حضارة وادي الرافدين منذ أقدم عهودها الى الحضارات الاخرى . وتأتي في مقدمة الاتصال هذه الاتصالات التجارية والحروب والفتوح والاسفار ، فقد ثبتت الاتصالات التأريخية مابين العراق القديم وبين اقطار كثيرة في الشرق الادنى وحتى اقطار نائية مثل سواحل الهند ، وتشير الاخبار التأريخية والادلة الآثارية الى امتداد فتوح سرجون الاكدي (٢٣٧٠–٢٣١٦ ق.م) وحفيده « نرام – سين » (٢٢٩١–٢٢٥٥ ق.م) الى اقاليم نائية مثل الاناضول وكريت وقبرص واقطار اخرى في حوض البحر المتوسط . وازدادت هذه الفتوح اتساعا في العصور التي اعقبت العهد الاكدي ، ولاسيما الفتوحات الاشورية الواسعة التي نتج عنها اتصالات بعيدة بين اقوام حضارة وادي الرافدين وبين الاقوام القديمة ومنها بعض القبائل اليونانية في سواحل الاناضول الغربية . وكشفت التحريات الآثارية الحديثة عن بقايا مستوطنات واسعة اقامها الاشوريون في عصرهم القديم (مطلع الالف الثاني ق.م) في الاناضول حيث المركز التجاري الشهير في المدينة القديمة المسماة « كانيش » (وتعرف بقاياها الان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باسم كول تبه بالقرب من قيصرية)[٤] ، وقد عثر حديثا في « لارنكا » في قبرص على مواد أثرية من حضارة وادي الرافدين من بينها اختام اسطوانية يرجع عهد بعضها الى العصر الاكدي (اواخر الالف الثالث ق٠م)[٥] ٠

جـ ـ اما الأساس الثالث فهو اثبات مواطن شبه اساسية في الاحداث والافكار والابطال من أدب حضارة وادي الرافدين في أساطير الامم القديمة وآدابها ٠ ونترك التبسط في هذا الموضوع الى القارىء من بعد وقوفه على النصوص الادبية التي سنعرضها وسيجد فيها الموارد المتعددة من أوجه الشبه هذه ٠

٧ ـ والى هذا فان لادب العراق القديم اهميه وخطورة خاصتين في فهم مقومات حضاره وادي الرافدين واوجهها المختلفة والطابع المميز لها ٠ فان النصوص الادبية التي وصلت الينا من هذه الحضارة ، مثل ملحمة جلجامش الشهيرة وقصص الخليقة والاساطير الخاصة باصل الوجود والاشياء وغيرها من القطع الادبية التي سنتناولها ، تعد عند الباحثين منجما زاخرا يستقون منه اسس هذه الحضارة واتجاهاتها وعقائدها الاساسية ، فهي اصدق ما ينقل لنا احوال اقدم المجتمعات الانسانية وعقائده ونظرته الى أصل الاشياء والالهة ونظام الحكم ، كما تصور لنا احوال البيئة البشرية والطبيعية التي نمت فيها تلك الحضارة ٠ فان الدارس لنتاج العراقيين القدماء الادبي يستطيع ان يقف على طبيعة تفكيرهم في الكون والحياة ، ذلك التفكير الذي كان نتاجهم الادبي مظهرا من مظاهره ، ووجها من اوجهه ٠ وسنرى ان النزعة الغالبة على ذلك التفكير الاتجاه الاسطوري الشعري (methopoetic) ٠ ومما يقال بوجه عام انه ، باستثناء مواضيع قليلة، لايسعنا

---

(٤) راجع عن تأريخ هذا المستوطن التجاري الاشوري وما وجد فيه من سجلات وشرائع بالخط المسماري واللغة الاشورية القديمة ، الجزء الاول من كتابي السالف الذكر الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، الفصل الخاص

(٥) انظر : C. H. Gordon, Before the Bible, (1962).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان نسمي ما خلفوه فكرا فلسفيا بالمعنى الدقيق لهذا النمط من التفكير الذي يستند الى الاستدلال والنقد والاستنتاج المنطقي والتأمل والنظر في الاشياء نظرا موضوعيا • ومع انهم عالجوا في اساطيرهم وانواع كتاباتهم الاخرى قضايا مهمة لا تقل شأنا وخطورة عما كان يشغل الفلسفة اليونانية والفكر الحديث، بيد أن تفكيرهم في مثل هذه القضايا كان ، كما قلنا ، تفكيرا خياليا و اسطوريا وشعريا• واذا كانت الاساطير والقصص معروفة في الآداب الحديثة الا أن أدباء وادي الرافدين القدامى لم ينظروا الى اساطيرهم على أنها متعة أدبية فنية حسب بل كانوا يعدون مافيها من آراء حقائق معتبرة في تفسير الوجود والاشياء• وعلى هذا ينبغي لنا ان ننظر الى أساطيرهم على أنها تعبر عن حقائق الكون بحسب معتقداتهم بالاضافة الى كونها نتاجا أدبياً • انها كانت تفسر لهم نفس القضايا الاساسية التي عالجتها الفلسفة اليونانية بأسلوب أو منهج موضوعي مستند الى الاستدلال المنطقي • واذا ما وجدنا فيما سنذكر من قطع ادبية تناقضا في الآراء والمعتقدات عن أصل الكون والاشياء فان ذلك متوقع في التفكير الاسطوري الشعري لان التناقض لا يبدو الا للفكر الموضوعي المنطقي الذي يجاوزه ويسمو عليه خيال الشاعر الفنان ، ذلك الخيال الذي يكون فيه الحد ما بين الاحلام وبين اليقظة مختلطا غير واضح المعالم • والواقع ان الرؤى لم تكن اقل نصيبا من الحقيقة في اليقظة فكان القوم يحصلون على التوجيه والإرشاد الالهي عن طريق اتصالهم بالآلهة في الاحلام • واذا ما حاولنا العثور في اساليب تفكيرهم على ما نسميه بقانون « العلية » (Law of Causality) ، الذى هو اساس منهج العلوم الحديثة ، فاننا لا نجد له آثارا واضحة • انهم كانوا ينظرون الى علل الاشياء والحوادث من وجهة نظر من «يحدثها» وليس «كيف تحدث» أو « لماذا تحدث » ؟ فمثلا اذا لم ترتفع مياه دجلة كان السبب في ذلك ان النهر ابى ان يرتفع لغضبه او لغضب الآلهة التي تحكمه على البشر • وكان حكمهم على الاشياء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحوادث يستند بالدرجة الاولى الى مبـدأ التمثيل والقياس (analogy) اكثر من استناده الى الاستنتاج والاستدلال (inductive and deductive) ويظهر هذا واضحا في السحر وطرق العرافة والكهانة وتصنيفهم للاشياء على أساس التشابه الظاهري ، مثل تصورهم للسماء على هيئـة الارض ، والارض على هيئة السماء حتى انهم اعتبروا السماء وكأنها دولة او مملكة تحكم فيها الآلهة بمراتب ودرجات متفاوتة ويجتمعون في مجالس للشورى ويتخذون فيها القرارات الخطيرة على غرار المجتمع البشري في بلاد وادي الرافدين ، كما ان مبدأ التشبيه (Anthro-pomorphism) (*) الذي اتصف به آلهتهم مشتق من هذا النمط من التفكير .

ومن انماط التفكير الاخرى التي سيستنتجها القارىء من بعض القطع الادبية التي سنوردها ما يصح ان نسميه مبدأ « الاسم » الذى بموجبه لا يمكن لاي شيء أن يوجد مالم يكن له اسم ، فتسمية الشيء مرادفة لوجوده او ايجاده ، ويظهر هذا واضحا في اسطورة الخليقة البابلية التي عبرت عن حالة الكون قبل وجود السماء والارض بالقول ، « لم تسم السـماء في العلا وفي الاسفل لم تذكر الارض باسم » . والجدير بالذكر في هذا الصدد أن حضارة وادي الرافدين لم تنفرد بهذا الامر ، اذ نجد عنـد العبرانيين في رواية التكوين في التوراة(+) ، وكان الاسم في حضارة وادي النيل جوهر الشيء وسر وجوده وقوته ، فكان للألهة أسماء سرية تكمن فيهـا قدرتهـم وقوتهم فلا يبوحون بها ، وامتدت الفكرة عند المصريين القدماء الى أسـماء الاشخاص من البشر ، فكانوا يسمون الفرد باسمين ، اسم سـري وآخر

(*) تعزى بموجب مبدأ التشبيه الى الآلهة صفات البشر الروحية والمادية .

(+) انظر سفر التكوين ٢ : ٥ـ٥ وانظر أيضا سـفر الخروج ٣ : ١٣ـ١٤ حين سأل موسى الله عن اسمه لم يبح به بل قال : « انا من انا » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو الذى يدعى به بين الناس • وسنرى من اسطورة الخليقة البابلية كيف ان الآلهة اجتمعت في مجلس الشـــورى وانتخبت الاله « مردوخ » كبير آلهة بابل ، ملكا عليها ليحارب قوى لعماء والدمار الممثلة بالآلهة العتيقـة ، ولكي تمكنه من ذلك تنازلت عن اسمائها ، فصار هذا الاله يحوز عـــلى « خمسين اسما » كل منها يمثل سر القوة والقدرة التي يملكها كل منهم • وكان البشر في بعض الحالات يستطيعون ان يستعينوا بما في اسماء الآلهه من قوة ومناعة بمجرد كتابة اسم الاله ، واتسعوا في هذا المبدأ بحيث انهم صاروا يرمزون الى الاسماء بالعدد • فمثلا يخبرنا الملك الآشورى سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق•م) عن قصره في المدينة التي ابتناها وسماها باسمه « دور ـ شروكين » (خرسباد الآن) بقوله : « بنيت جدار سورها بمقدار (١٦٢٨٣) ذراعا وهو رقم اسـمي » (*)• ولمـا كان الاسـم جوهر الشيء وسر وجوده نشأت عندهم فكرة تسمية الاشخاص والاشياء المحببة باسماء تنطوي على اليمن والفال الحسن(**) ، ونجـد هذا المبدأ عاما تقريبـا في اسماء الاعلام التي يغلب عليها ان تكون اسماء مركبة تؤلف جملة كاملة ويدخل فيها اسماء الآلهة • وبالنسبة الى اسماء الاشياء مثل المباني نذكر بعض الامثلة من اسماء الكثير من محلات مدينة بابل وشـوارعها ومبانيهـا مثل اسم شارع الموكب الذي ورد اســمه في النصوص المسمارية بهيئـة « أى ـ يعبر ـ شابو » (ai-ibur-shabu) ومعنـــاه « عسى الا يعبر العدو » • واسم بوابة عشتار الشـهيرة : « عشتار ـ شاكبة ـ تبيشا » (Ishtar-shakibat-Tebisha) اى « عشتار قاهرة اعدائها » •

وخلاصة ما يقال بهذا الصدد ان المعتقدات الدينية قد أثرت في أدب العراق القديم بوجه خاص وفي انواع الفنون الاخرى بوجه عام ، شأنها في ذلك شـأن الحضارات القديمة الاخرى ، سـواء كان ذلك في اشتراك

(*) لعل هذا اصل المبدأ الخاص باعطاء الحروف قيما عددية •
(**) قارن ذلك بالمثل اللاتيني : « الاسم فال (nomen est omen)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلهة باحداث الملاحم البطولية والقصص والاساطير ام في المواصيع والاغراض الدينية المتنوعة كالتراتيل والادعية والابتهالات والصلوات التي كانت تؤلف قسما مهما من النتاج الادبي الشعري ، اذ انها كانت تنظم شعرا . أما النثر ، ولا سيما النثر الادبي ، فقد استخدموه في أغراض أدبية اخرى مثل تدوين الحوادث التاريخية والرسائل الملكية وتدوين اعمال الملوك وحملاتهم الحربية والشرائع والحكم والامثال والمواعظ .

٨ ـ الاعادة والتكرار واستباق نتائج الاحداث :

ومن الميزات العامة التي سيلاحظها القارىء لاشهر النصوص الادبية مثل ملحمة جلجامش واسطورة الخليقة ظاهرة التكرار والاعادة مما يبعث السأم والملل عند القارىء الحديث ، فمثلا اذا ارسل احد الآلهة رسولا ليبلغ أمرا ما الى اله آخر فان الرسول يعيد جميع الابيات التي قالها الاله المرسل مهما بلغ عددها . والطريف ذكره بصدد هذه الظاهرة ان الباحثين المحدثين قد افادوا منها كثيرا في الاستعانة بها لاكمال مواطن كثيرة قد انخرمت وضاعت من النصوص الاصلية في الواح الطين . ومهما كان الامر فان ادب العراق القديم لا يتفرد بهذه الظاهرة بل يضاهيه فيها الكثير من آداب الامم القديمة مثل الاليادة والاوديسة . وقد استند بعض الباحثين الى هذه الظاهرة في مثل هذه الآداب العالمية فارجع اصلها الى الانشاد والرواية الشفوية ، حيث كان المنشد يستعين بالتكرار والاعادة ليستعيد الى ذاكرته ما سينشده من ابيات تالية .

ومن الخصائص الاخرى التي يلاحظها الفاحص لنصوص أدب وادي الرافدين ـ والمثال على ذلك واضح في ملحمة جلجامش ـ ما يصح ان نطلق عليه « استباق الاحداث » او « استباق النتائج » (Anticipation) اي استباق ما ستتمخض عنه الرواية او القصة والتنويه بالحل والنهاية . ففي ملحمة جلجامش مثلا تبدأ الرواية بديباجة في التعريف ببطل الرواية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتغني بامجاده وتنوه ايضا بمجمل موضوع الرواية وخاتمتها • ونجد ما يضاهي هذا في الملاحم العالمية المشهورة مثل الالياذة والاوديسة والملحمة الجرمانية المسماة « اغاني النيبيلونك »(*) ، والمرجح ان يكون تفسير هذا في تحريك السامع وتشويقه الى احداث الرواية ، ولعله يمكن تشبيه هذا الاسلوب من الفن القصصي القديم باساليب العرض السينمائي الحديثة ، حيث يبدأ بعض الافلام بلقطة من خاتمة الرواية او من اهم احداثها ، ثم تبدأ حوادث الرواية بالتسلسل ، وتنتهي بالمشهد الذي بدأت به • واستنادا الى هذه الظاهرة فان حقيقة كون بداية ملحمة جلجامش او ديباجتها مضاهية لخاتمتها دليل على ان النصوص التي وصلت الينا منها تمثل الملحمة كاملة تقريبا •

٩ ـ الفهارس والسجلات والمكتبات :

لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان حضارة وادي الرافدين فاقت معظم الحضارات القديمة في كثرة التدوين الذي شمل جميع شؤون الحياة الخاصة والعامة • وتميز بعض عصورها بوفرة ما جاء الينا منه من الواح الطين التي لعلها تجاوز المليون لوح مما كشف عنه لحد الان من العهود المختلفة مثل عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق•م) ، لعله في حدود ٣٠٫٠٠٠ الى ٤٠٫٠٠٠ لوح ، والعصر البابلي القديم (٢٠٠٠–١٥٠٠ ق•م) في حدود ٥٠٫٠٠٠ الى ٧٠٫٠٠٠ لوح والعصر الاشوري الحديث ما يناهز ٨٠٫٠٠٠ لوح ثم العصور المتأخرة مثل العصر البابلي الحديث (منتصف القرن السادس ق•م) والعصر الفارسي الاخميني (٥٣٩–٣٣١ ق•م) والعصر السلوقي والفرثي (٣١١ ق•م – ٢٢٦م) •

(*) اغاني النيبيلونك (Niebelunglied) ملحمة جرمانية مشهورة في آداب القرون الوسطى ، وتدور احداثها ، مثل ملحمة جلجامش ، على مغامرات البطل « سيغفريد » في « أرض الظلام » مع ملوكها البورغنديين وقتلهم له ثم ثأر زوجته له الخ •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالنسبة الى التدوين بدأت غزارة النصوص الادبية منذ العصر البابلي القديم وسنرى من تلخيص القطع الادبية كثرة النسخ التي خلفها كتبة العراق القديم في الازمان المختلفة ابتداء من العصر البابلي القديم المار الذكر • ولعل ابلغ مثال نسوقه في تاريخ التدوين والولع بجمع النصوص المختلفة لشتى صنوف المعارف التي اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين خزانة كتب الملك الآشوري الشهير « اشور بانيبال » (٦٦٨-٦٢٦ ق٠م) في نينوى حيث كشفت التنقيبات القديمة فيها (منتصف القرن التاسع عشر) عن مجاميع ضخمة من الواح الطين التى حوى الكثير منها كنوزا من ادب حضارة وادي الرافدين ، وهي نسخ من نصوص اقدم عهدا ، وقد نظمت المكتبة الملكية في مجموعات حسب موضوعاتها كما سنوضح ذلك بعد قليل •

ويجدر ان نشير بهذا الصدد الى ان احد الباحثين اكتشف في السنوات القليلة الماضية بعض النصوص التي تدل على وعي ادبي في فهرسة القطع الادبية ، فقد وجد من بين الواح الطين التي عثر عليها في مدينة « نفر » في أثناء التحريات القديمة فيها لوحين أحدهما موجود الآن في متحف اللوفر (في باريس) والاخر في متحف جامعة فيلادلفيا وهما يتضمنان عناوين من مؤلفات ادبية سومرية • ويحتوى لوح فيلادلفيا على ٦٢ عنوانا ولوح اللوفر على ٦٨ عنوانا ، واذا اخرجنا ٤٣ عنوانا مشتركا في اللوحين فيكون عدد العناوين المسجلة فيهما ٨٧ عنوانا لنصوص ادبية امكن تعيين ٢٨ تأليفا منها حيث وجد اصله الكامل في الالواح المكتشفة سابقا[٦] •

---

(٦) درس هذين اللوحين ونشرهما الاستاذ « كرامر » • انظر :
S. N. Kramer. "The Oldest Literary Catalogue" in Bulletin of the American Oriental Society, No. 88, (1942); Sumerian Mythology, (1944), p. 14.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠ـ أثر مادة الكتابة في اساليب التدوين :

وكان لمادة الكتابة ، وهي الطين الذي كان المادة الرئيسية في التدوين ، اثر كبير في اشكال المدونات المختلفة وفي مقدمتها النصوص الادبية وطريقة جمعها وفهرستها وتسلسلها • فعلى ما هو معروف لا يمكن تدوين نصوص مطولة على لوح واحد من الطين مهما بلغ كبره حيث لا يمكن استعمال لوح يتجاوز حجم الآجرة (نحو ٥٠ × ٥٠ سم) على اكثر تقدير • اما في حالة الوثائق والعقود التجارية والرسائل وغيرها من شؤون الحياة الاعتيادية فكان يكفي لوح واحد لاستيعابها • وحلت مشكلة تدوين النصوص الادبية والتاريخية المطولة بأحدى طريقتين : (١) تدوين النص المطول في عدة الواح ترتب على هيئة سلسلة متتابعة ويذيل كل لوح منها بعنوان السلسلة العام مع رقم تسلسله وبداية السطر الذي يبدأ به اللوح التالي • وكانت كل مجموعة من هذه السلاسل من النصوص الادبية تحفظ في رفوف او اوعية (جرار) من الفخار او في سلال يعلق فيها عنوان المجموعة الذي يسجل على بطاقة او لوح صغير من الطين • وهكذا وصلت الينا ملحمة جلجامش الشهيرة مدونة على اثني عشر لوحا ، واسطورة الخليقة على سبعة الواح • وجرت عادتهم في عناوين مثل هذه المجاميع الادبية ان تعنون كل مجموعة باول عبارة او شطر من الشعر فيها • فمثلا عنونوا ملحمة جلجامش : « شاقبا امورو » (sha naqba imuru) اي : « هو الذي رأى كل شيء » ويضيفون الى ذلك من « سلسلة جلجامش » (اشگار جلجامش esh gar gilgamesh) • وعنوان اسطورة الخليقة : « اينمّا ايليش » (enuma elish) اي « حينما في العلا » ، وعنوان شريعة حمورابي : « ايبو آنم صيرم » (inu Anum Serum) اي « حينما آنو المبجل » •

ولعله من المفيد ان نتمم هذه الملاحظات عن عناوين المؤلفات الادبية بذكر ما جاء الينا من عناوين بعض القطع الادبية السومرية المشهورة حيث